Dirasat: Human and Social Sciences, Volume 53, No. 2, 2026, 8187

Deanship of Scientific Research

The Search for Salvation: Nazik Al-Malaika's Utopia

Mousa Rababah*

Arabic Department, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan

Received: 9/7/2024
Revised: 4/8/2024
Accepted: 29/9/2024
Published online: 1/9/2025

* *Corresponding author:*
mousasameh14@gmail.com

Citation: Rababah, M. (2025). The Search for Salvation: Nazik Al-Malaika's Utopia. *Dirasat: Human and Social Sciences*, *53*(2), 8187.
https://doi.org/10.35516/Hum.2025.8187

© 2026 DSR Publishers/ The University of Jordan.

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY-NC) license https://creativecommons.org/licenses/by-nc/4.0/

Abstract

Objectives: This paper attempts to explore Nazik Al-Malaika's personal utopia as manifested in her poem "The Lost Utopia," which represents a state of existential awareness. The poem embodies a clear stance on the interaction between the poetic self and its surroundings.

Methods: The research adopts the analytical method as a basis to approach the poem and to explore how the poet depicted her utopia, transforming it into a special poetic vision.

Results: An analysis of the poem reveals a fluctuation in the poet's relationship with her existence. While desolation and alienation dominate her poetry, in her utopia, she attempts to unveil a qualitative relationship with the self through her interaction with moments of optimism, hope, and dreams associated with the utopia. Hence, most sections of this article are titled to align with this vision, as follows: Creating a Utopia, The Dream Place, Utopia of Nature, Mythologizing Utopia, Utopia of Sensation, Utopia of Security, Utopia and the Horizon of Dreams, Utopia of Salvation, and Utopia as an Eternal Horizon.

Conclusions: Utopia, in Nazik's poem, represents a romantic engagement with reality, which she portrays tragically, emphasizing the self's attempt to fathom the world of existence, dominated by darkness and gloom. As Nazik's universe is often framed by pessimistic and melancholic visions, this poem becomes an expression of a different perspective, in which the poet seeks reconciliation with the self and existence, even if only in the realm of dreams.

Keywords: Lost Utopia; Utopia; Nazik Al-Malaika.

البحث عن الخلاص: يوتوبيا نازك الملائكة

موسى سامح ربابعة*

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن

ملخّص

الأهداف: يحاول هذا البحث أن يناقش اليوتوبيا الخاصة بنازك الملائكة من خلال قصيدتها (يوتوبيا الضائعة)، التي تمثل حالة من الوعي الخاص بالوجود، لأنها تجسد موقفا واضحا من التفاعل بين الذات الشاعرة ومحيطها.

المنهجيّة: اعتمد البحث المنهج التحليلي أساسا لمقاربة قصيدة (يوتوبيا الضائعة) واستكشاف كيفية تصوير الشاعرة لليوتوبيا وتحويلها إلى رؤية شعرية خاصة.

النتائج: كشفت مقاربة هذه القصيدة عن التماوج والتذبذب في علاقة الشاعرة مع وجودها، فإذا كان الظلام والوحشة والغربة قد سيطرت على شعرها فإنها في اليوتوبيا تحاول أن تكشف عن علاقة نوعية مع الذات من خلال تفاعلها مع لحظات التفاؤل والأمل والحلم التي اقترنت باليوتوبيا. وإن الرؤية التي تنطلق منها الدراسة تشي بكيفية تصوير الشاعرة لليوتوبيا وتحويلها إلى رؤية شعرية خاصة، تتفلت من الفلسفة لتصبح حالة من التمني وحسب، ولذلك فإن معظم مقاطع هذا النص قد وضع لها عنوانا يتساوق مع رؤيته وذلك على النحو التالي: تخلق اليوتوبيا، والمكان الحلم: المدينة الفاضلة، ويوتوبيا الطبيعة، وأسطرة اليوتوبيا، ويوتوبيا الإحساس، واليوتوبيا الأمنية، ويوتوبيا وأفق الأحلام، ويوتوبيا الخلاص، واليوتوبيا أفقا سرمديا.

الخلاصة: لقد شكلت اليوتوبيا في قصيدة نازك حالة من التعامل الرومانسي مع الواقع، الذي صورته بصور تراجيدية تعزز محاولة الذات اكتناه عالم الوجود الذي طغى عليه السواد والقتامة، فكون نازك الملائكة مؤطر في الغالب برؤى السوداوية والتشاؤم، مما جعل هذه القصيدة تعبيرا عن رؤية مغايرة تحاول فيه الشاعرة إعادة التصالح مع الذات والوجود وإنْ في عالم الأحلام، لأن عالم الواقع يغص بالإحباط والكآبة

الكلمات الدالة: يوتوبيا الضائعة، المدينة الفاضلة، نازك الملائكة.

إضاءة

إن الدخول إلى عالم الشاعرة نازك الملائكة ليس بالأمر السهل؛ لأنها تمتلك تجارب إبداعية ونقدية مثلت حالة خاصة في خارطة الإبداع الشعري العربي، ولذلك فإن مقاربة تجربتها الشعرية تتسم بالتنوع والتعدد، وخاصة أنها مثلت حالة خاصة في رحلة الشعر العربي المعاصر، وذلك بما رسمته من خطوط عريضة في إبداعها الشعري والنقدي. وهناك ثيمات متعددة يمكن معاينتها معاينة نقدية تكشف عن عوالم كثيرة عبرت عنها الشاعرة في رحلتها الطويلة مع الشعر، الذي تمثل في دواوينها التالية : مأساة الحياة ، وعاشقة الليل ، وشظايا ورماد ، وقرارة الموجة، وشجرة القمر، وللصلاة والثورة ، ويغير ألوانه البحر ، والوردة الحمراء ، فهذا المجموع الشعري يعبر عن تجربة يمكن استنطاقها ومحاورتها بمنظورات متعددة ، فعنوانات الدواوين يمكن لها أن تقدم للقارئ مداخل يستطيع من خلالها أن يقارب الكينونة الشعرية التي ارتبطت برؤية إنسانية خاصة للحياة والوجود ، فالرؤية التي تهيمن على هذه الدواوين رؤية مغلفة بالسواد والتشاؤم في كثير من الأحيان ، وهذا أمر يتجسد في عنوانات القصائد التي اشتملت عليها الدواوين .

يتشكل الانطباع الأولي عند قراءة شعر نازك بهيمنة الوحشة والاغتراب ، فرحلتها الشعرية تتساوق بشكل جوهري مع رؤيتها للوجود ، وهي لا تتعامل مع الأشياء تفاعلا مباشرا ، وإنما تحول هذه الأشياء إلى موضوعات شعرية ، مثال ذلك رؤيتها العميقة لليل ، والحياة ، والموت ، والاغتراب ،ولذلك لا يمكن تجاوز هذه الرؤية الشعرية التي تعد رؤية مهيمنة على شعر نازك الملائكة ، الذي عبرت فيه عن إحساسها ونبضها وتفاعلها مع الوجود بأطيافه كافة ، ولذلك يستشعر المتلقي هيمنة الرؤية القاتمة التي تسيطر على شعرها ، ومع أن محاولة الشاعرة التخلص من عالم القلق والتشاؤم قد برز في محطات في شعرها ، وهذا يتمثل في إلماحاتها إلى التفاؤل ، وإن القفز من التشاؤم إلى التفاؤل قد برز في أكثر من محطة من محطات شعرها ، كما تجلى ذلك في قصيدتها المشهورة " يوتوبيا الضائعة"، وهي القصيدة التي ستكون ميدان الدرس ، لأنها تشكل محطة بارزة في شعرها الذي يغلب عليه هاجس الخوف والرعب والتشاؤم والاغتراب ، ولذلك يسأل المرء نفسه ، لماذا اختارت نازك أن تتحدث عن اليوتوبيا ؟ هل كان ذلك ناتجا عن إحساسها بالتحول، وهل كانت قصائدها المغلفة بالتشاؤم والتعارض مع العالم عبارة عن ديستوبيا. فاليوتوبيا تتعارض بشكل مباشر مع قصائد كثيرة لنازك الملائكة مثل: مرثية امرأة لا قيمة لها، ولعنة الزمن، وسخرية الرماد، وثلاث مراث لأمي، وخائفة ، وأغنية للحزن ، وصلاة الأشباح ، وخمس أغان للألم ، والمدينة التي غرقت ، وثلاثية من زمن الفراق، ومأساة الحياة ، وقابيل وهابيل ، والقصر والكوخ، وكآبة الفصول الأربعة، وأنشودة الأموات، والحرب العالمية الثانية ، والغروب، وعاشقة الليل، وقلب ميت ، وصوت التشاؤم ، ومرثية في مقبرة ريفية، ومرثية يوم تافه، وأجراس سوداء، ومرثية مقبرة ريفية، وأنا، وقبر ينفجر .

إن هذه النصوص بما تحمله من عنوانات تشي بكثير من الدلالات التي تجسد الرؤية القاتمة لأشياء الوجود، ولذلك فإن الإحساس الذي يخيم على هذه النصوص يمكن أن يوحي بأن الشاعرة بعيدة عن العالم المضاد ، وعند معاينة بعض النصوص فإن القارئ يمكن أن يكتشف ملامح مهمة جسدتها تجربة الشاعرة ، وهي أشياء تمركزت في عنوانات النصوص ، وهنا ينبغي تقديم نماذج تجسد عالم الإحباط الذي يخيم على تجربة الشاعرة ، فقصيدة "عاشقة الليل "على سبيل المثال ترسم عالما من البؤس والشغف بالأشياء السلبية والمأسوية التي تؤطر التجربة الشعرية ، فهي تقول في هذا النص :

يا ظلام الليل يا طاوي أحزان القلوب
انظر الآن فهذا شبح بادي الشحوب
جاء يسعى، تحت أستارك، كالطيف الغريب
حاملا في كفه العود يغني للغيوب
ليس يعنيه سكون الليل في الوادي الكئيب
****
هو، يا ليل، فتاة شهد الوادي سراها
أقبل الليل عليها فأفاقت مقلتاها
ومضت تستقبل الوادي بألحان أساها
ليت آفاقك تدري ما تغني شفتاها
أه يا ليل ويا ليتك تدري ما مناها
****
جنها الليل فأغرتها الدياجي والسكون
وتصباها جمال الصمت ، والصمت فتون
فنضت برد نهار لف مسراه الحنين
وسرت طيفا حزينا فإذا الكون حزين
فمن العود نشيج ومن الليل أنين. (نازك الملائكة، 2002، 328/1).

فالكلمات الدالة شكلت شبكة متكاملة تتمحور حول البؤس والوحشة ، وهما عاملان يسيطران على فضاء النص ، وتتكدس الكلمات لتصوير حالة لا تقف عند المعنى المباشر للكلمات ، ولكنها تتخطى ذلك لترسم عالما من الكآبة والوحشة والظلام الذي يعيش في وعي الذات الشاعرة، ومن الكلمات الدالة التي تحمل بعدا إشاريا يرسخ هذا الهاجس العميق بالواقع المأساوي ما يتجسد في قولها : ظلام الليل ، أحزان القلوب، شبح ، بادي الشحوب، الطيف الغريب ، الغيوب ، سكون الليل ، في الوادي الكئيب، ألحان أساها ،آه ياليل، جنها الليل ، الدياجي ، السكون ، طيف حزين ، فإذا الكون حزين ، فمن العود نشيج ومن الليل أنين ، فصورة الليل ترتبط بالوحشة والاغتراب ، وإن أي محاولة "لفهم العدم والموت ، وبالتالي الوجود والحياة أيضا ، لا يمكن فهمها دون تحقيق فلسفي جمالي للظلام". (Bronfen, 2008, 55).

تتمحور هذه الدوال لتشكل عالما من الوحشة والحزن ، وهي تمثل حالة من البوح الذي يجسد هواجس الذات الشاعرة وهي تتحدث عن موتيف مهم في شعرها ، فموتيف الليل في شعر نازك يمثل علامة بارزة في شعرها ، وهو لا يشكل أي لحظة من لحظات التصالح والتناغم والانسجام، فالليل الذي يمكن أن يفتح عالما للتدبر والتأمل ، يقود الشاعرة إلى الأسئلة المحيرة التي لا تصل معها إلى حلول نهائية ، فالليل هنا يتحول إلى علامة سيميائية ترسم الرؤية الفلسفية في النظر إلى الأشياء التي تتعامل معها الشاعرة ، فكلمة الليل تتكرر في هذا النص لتشكل المحور الرئيس ، وخاصة أن الليل شكل جزءا مهما من عنوان النص (عاشقة الليل) .

وثمة نص آخر يجسد الرؤية الشعرية الخاصة بذات الشاعرة ، وهو نص جاء بعنوان " أنا". تقول فيه :

الليل يسأل من أنا
أنا سره القلق العميق الأسود
أنا صمته المتمرد
قنعت كنهي بالسكون
ولففت قلبي بالظنون
وبقيت ساهمة هنا
أرنو وتسألني القرون
أنا من أكون ؟
****

والريح تسأل من أنا.
أنا روحها الحيران أنكرني الزمان
أنا مثلها في لا مكان
نبقى نسير ولا انتهاء نبقى نمر ولا بقاء
فإذا بلغنا المنحنى
خلناه خاتمة الشقاء
فإذا فضاء!
****

والدهر يسأل من أنا
أنا مثله جبارة أطوي عصور
وأعود أمنحها النشور
أنا أخلق الماضي البعيد
من فتنة الأمل الرغيد
وأعود أدفنه أنا
لأصوغ لي أمسا جديد
غده جليد
والذات تسأل من أنا
أنا مثلها حيرى أحدق في ظلام
لا شيء يمنحني السلام

أبقى أسائل والجواب
سيظل يحجبه سراب
وأظل أحسبه دنا
فإذا وصلت إليه ذاب
وخبا وغاب. (نازك الملائكة، 2002، 2/431-432)

تتجلى في هذا النص الرؤية التفاعلية مع أربعة عناصر مهمة جدا وهي : الليل ، والريح ، والدهر ، والذات . وكل واحد من هذه العناصر يحمل أسئلة مهمة وفاعلة ، وكأن الشاعرة تقيم حوارية داخلية مع الليل تارة ومع الريح ومع الدهر ومع الذات مرة أخرى ، وتشكل كلمة يسأل / تسأل مفتاحا أساسيا من مفاتيح قراءة النص ومقاربته في ضوء الرؤية التي ينطلق منها ، وذلك يتمثل في تشكيل فضاء خاص بالنص كما يتجلى على النحو التالي :

الليل يسأل من أنا
والريح تسأل من أنا
والدهر يسأل من أنا
والذات تسأل من أنا .

إن هذه الهندسة في تشكيل النص تمثل الفضاء الكتابي للنص الذي يحتاج إلى ملء الفراغات التي على القارئ أن يقوم بملئها ، فالليل والدهر دالان زمنيان ، والريح دال من الطبيعة ، وكل منها له قوته وسطوته الكبيرة ، وقد استطاعت الشاعرة أن تستنطق كل ما في هذه العناصر من مؤشرات دالة على الوحشة والقوة والهيمنة ، أما دال الذات في قولها : والذات تسأل من أنا فإنها تمثل حالة من التغريب للذات ، والتغريب هنا يعني انعدام التصالح مع الذات ، والشعور بالحيرة وهيمنة الظلام ، والفشل في الحصول على السلام.

وتجسد قفلة كل مقطع من مقاطع هذا النص الأربعة حالة شعورية ومعنوية تعمل على تكريس عالم البؤس والوحشة ، ويتمثل ذلك فيما يلي :

أنا من أكون ؟
فإذا فضاء !
غده جديد
وخبا وغاب .

فالفضاء الكتابي المتمثل بعلامتي الاستفهام والتعجب ، وبالجملتين الأخريين : غده جليد ، وخبا وغاب تؤطر خلاصة تجربة إنسانية تنفتح على عالم من الحيرة والتردد والتلاشي والاستلاب ، وهو الاستلاب الروحي الذي يتمثل في صوت الأنا الغنائية التي تشدو نغمة مؤطرة بعلامات من الحزن الذي لا ينتهي .(فنبقى نسير ولا انتهاء) . وتتجلى صورة رؤيوية عميقة الدلالة فيها مسحة فلسفية ، لأن الأسئلة التي يفيض بها النص تحتاج إلى إجابات تنهي الحيرة التي تعيشها الذات ، فالنص مؤطر بإطار من الرؤية التشاؤمية التي تهيمن عليه ؛لأن الشاعرة لا تصل إلى الحقائق ، وإنما تعيش تهويمات لا نهاية لها مما يجعل القلق هو العنصر الطاغي على النص ، ويمكن أن يطلق عليه قلق السؤال الذي ينتظر الإجابة . وهذا أمر يعزز الإحساس بالألغاز المحيرة التي لا يمكن لها أن تشي بتصالح الذات مع الوجود .

عكس النصان رؤية قاتمة عبر تفاعل الذات مع الوجود ، والأسئلة الحائرة التي تبحث عن أجوبة ، ولكن ذلك لا يعني أن الذات كانت تتأرجح في بعض الأحيان للإمساك باللحظات التي تعبر عن الرؤية التي تبحث عن التفاؤل وسط محيط يهيمن عليه التشاؤم والوحشة والخراب الروحي، الذي يترجم اضطراب الهواجس الداخلية التي تضطرم في الذات الجوانية للأنا الشاعرة ، ولذلك تقارب الدراسة نصا مغايرا تحاول فيه الذات أن تنفتح على عالم مختلف جدا ، وهو عالم اليوتوبيا ، الذي تجلى في نص نازك " يوتوبيا الضائعة "

إن وعي الذات الشاعرة يشتغل على رؤية مغايرة لرؤية النصوص التي هيمن عليها عنصر التناقض والتعارض مع عالم الوحشة والقلق الروحي ، الذي شكل القلق الوجودي الذي مثل انعدام التصالح مع الوجود ،فتمظهرات اليوتوبيا التي تتجسد في نص نازك الملائكة تشي بدلالات مهمة .

اليوتوبيا : المفهوم والدلالة :

ترتبط اليوتوبيا بمرجعيات فلسفية واجتماعية وثقافية وتاريخية ، لأنها محاولة للخروج من المكان والزمان البعيدين عن القلق الإنساني ، فاليوتوبيا كلمة منحدرة من اليونانية القديمة (Utopia) ،وهي مكونة في الأصل من مقطعين هما (OU) وتعني (لا)، و(Topos) وتعني (مكان) ، فيصبح معناها (لا مكان) ، وهذا يفضي إلى رؤية تتأسس على أن هذا غير موجود في عالم الواقع ، وإنما ينتمي إلى المكان المتخيل أو المفترض . أما في الاصطلاح فللمفهوم تعاريف كثيرة ، وهي متقاطعة إلى حد كبير ، فمن تعريفات اليوتوبيا ما يتمثل في كونها " الأفكار المثالية التي لا يمكن تطبيقها في المجتمع ، نظرا لبعدها عن الواقع الحقيقي " (حسيبة، 2009، ص 700).

وهذا يعني أن اليوتوبيا تجسيد للرؤية الإنسانية القائمة على نبذ كل ما يكدر صفو الحياة ، ويخلصها من القلق الناتج عن الخلل في البنى الفكرية

والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية للإنسان ، وتعني اليوتوبيا أيضا: " اللا اتصال بالواقع ". (جاكوبي، 2001، ص8).

فاليوتوبيا تمثل بديلا إيجابيا لما هو قائم في الواقع الحقيقي ، فهي يمكن أن تكون اقتراحا مضادا للمجتمع المعاصر ، والظروف الاجتماعية والسياسية السائدة ، وقد انطلقت هذه من أفكار كل من أفلاطون ، وتوماس مور ، حتى صارت نمطا مهما من أنماط البحث عن السعادة الإنسانية التي يبحث عنها الإنسان في عالم المثاليات . ولذلك ارتبطت اليوتوبيا بالجنة ، أو الفردوس المفقود ، أو المدينة الفاضلة ، التي تتطابق مع رؤية الفيلسوف الألماني كانت الذي قال عنها : "إنها ما نتخيله لطيفا ". (الزواري، 355).

وثمة مصطلح آخر يقف في مقابل اليوتوبيا وهو الديستوبيا التي تعني وصف مجتمع خيالي بطريقة تمنع أفراده من بلوغ السعادة ، وتحذير القارئ من التداعيات الرهيبة لأيديولوجيات الأنظمة السائدة (البستاني،2021).

وتتجسد اليوتوبيا في أشكال مختلفة ، وفي صيغ متعددة ، فاليوتوبيا الأدبية تتقاطع مع وصف المدينة الفاضلة ، التي تستخدم بشكل مترادف مع : رواية الدولة ، والخيال العلمي ، والرواية المستقبلية ، وخيال الفضاء ، وأيكوتوبيا، وروبنسوناد ، والفانتازيا العلمية ، والفانتازيا ، بحيث يمكن أن توصف المدينة الفاضلة أنها : المجتمع الممكن داخل النص . (Biesterfeld, 1982).

العنوان مفتاح للقراءة :

جاء عنوان نص نازك " يوتوبيا الضائعة " مكونا من جزأين : يوتوبيا ، والضائعة ، وإن اختيار العنوان بهذه الطريقة يشي في إدخال مصطلح له دلالاته الفلسفية والرؤيوية على الصعيد الفلسفي والسياسي والثقافي والاقتصادي ، فاليوتوبيا في أبسط دلالتها ما هي إلا انعكاس واضح لما يدور في وعي الإنسان الساعي إلى نبذ الفساد الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي ، والانتقال إلى عالم الحلم الذي يخلص الإنسان من الرؤية السوادية القاتمة التي تهيمن على واقعه ، فالعنوان يمثل حالة من الإغراء والإغواء للمتلقي الذي يتجلى من الممارسة القائمة على محاورة العنوان بصورة نقدية واعية ، فحضور اليوتوبيا في العنوان يشي بحالة من التفاؤل التي تشعر القارئ بالانتقال إلى عالم جديد بعيد عن عالم الواقع المرير ، وإذا كانت كلمة يوتوبيا تدغدغ مشاعر القارئ ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه ؟ هل يمكن تحقيق اليوتوبيا ؟ ولذلك فإن وصف اليوتوبيا بالضائعة ، يعني في المقام الأول أنها بعيدة عن التحقق ، وهذا أمر يسوغ وصف اليوتوبيا بالضائعة . لكن إدراك المخيلة الإنسانية لليوتوبيا يمتد به إلى أفق مكاني وزماني يمكن أن يكون غير قابل للتطبيق في العالم الواقعي، وإن حلم الإنسان بالمثالية يبقى حلما مسوغا ، لأن ذلك يعكس التطلع إلى عالم مغاير يتصف بالنقاء والسعادة الحالمة .

ومن هنا فإن تمثلات العنوان وتمظهراته توحي بشكل من أشكال تفاعل الذات الشاعرة مع الوجود ، وهو الوجود الذي يمثل عالم الحلم الإنساني، الذي يريد أن يصنع عالما جديدا ، ولكن هل اليوتوبيا حالة استمرارية أم أنها لحظات عابرة، إنها عنصر استشفافي لا يمكن له أن يطبق في عالم الواقع ، ولذلك فإن اليوتوبيا ترسم الصورة المثالية الحالمة ، التي يدركها الوعي الإنساني في لحظة الحلم ، لكن اليوتوبيا تتلاشى عندما يصحو الإنسان على العالم الذي تغلب عليه النقاط السوداء في مجتمع لا تتحقق فيه العدالة والسعادة .

إن تطلع نازك الملائكة إلى عالم اليوتوبيا يمكن أن يندرج تحت ما يعرف باليوتوبيا النسوية التي تعكس صوت المرأة في سعيها إلى تحقيق ذاتها من خلال تعبيرها عن تفاعلها مع الوجود ، فاليوتوبيا النسوية لا بد أنها شكل من أشكال الاحتجاج على عالم الواقع الذي تعبر عنه الشاعرة وهي ترسم العالم النقيض للواقع المعيش ، "إذ أصبحت اليوتوبيا النسوية شكلا من أشكال النصوص الخيالية التي تقدم لنا روابط محددة للغاية بين الحاضر والمستقبل ، إنها تحفز خيالنا دون أدنى شك ". (Gudrun (29), 2000, 55).

وهذا يفضي إلى أن اليوتوبيا محاولة للهروب من الكوابيس والعنف والتشوف للمستقبل ، وهي احتجاج واضح على النزعة التشاؤمية المغرقة التي طغت على الوجود ، فمقاربة نص "يوتوبيا الضائعة " يمكن أن يجسد حالة من احتجاج الصوت الأنثوي في عالم يسوده العنف والقهر والاستلاب على أكثر من صعيد . وعند معاينة لغة النص فإن ذلك يعكس حالة شعورية خاصة ، إذ إن يوتوبيا نازك الملائكة كما هي اليوتوبيا النسوية " تتسم بصور الرغبة وشيفرات الأمل " . (Gudrun (29), 2000, 67).

عندما يتحول العالم إلى يوتوبيا : مقاربة النص :

يتكون النص من عشرة مقاطع ، وكل مقطع مرتبط بالمقطع الذي يليه عبر رؤية متنامية ، وكأن القارئ يستشعر أنه في كل مقطع أمام لوحة متكاملة تشكلها لغة شفافة بعيدة عن التقريرية والمباشرة، وتفتتح الشاعرة المقطع الأول على النحو التالي :

أولا : تخلق اليوتوبيا :

صدى ضائع كسراب بعيد يجاذب روحي صباح مساء
أنام على رجعه الأبدي ويوقظني برقيق الغناء
صدى لم يشابهه قط صدى تغنيه قيثارة في الخفاء
إذا سمعته حياتي ارتمت حنينا ونادته ألف نداء

يموت على رجعه كل جرح بقلبي ويشرق كل رجاء
ويمضي شعوري في نشوة يخدره حلم يوتوبيا . (نازك الملائكة، 2002، 431).

يجسد المقطع الأول الرؤية الأساسية التي تشي بانطلاقة تتمثل بالدال (صدى) الذي يلتقي مع الدال ضائع الذي يتشارك مع العنوان " يوتوبيا الضائعة"، فالشاعرة تعيش حالة من اللهفة عند سماعها صوت العالم المثالي البعيد ، وهو العالم الذي ترنو إليه نفس الشاعرة، ولذلك فإن التفاعل مع الصدى لم يكن تفاعلا عاديا وإنما تفاعل روحي، يحاول أن يخلص الوعي من الأشياء السلبية التي يمكن أن تهيمن عليه، ويتحول الصدى إلى هاجس مسيطر بصورة متواصلة ، فهو يجاذب الروح صباح مساء ، وهذا الصدى يشكل حالة حلمية تنداح دوائره عبر رؤية فيها كثير من الأبعاد الشفافة ، بحيث يمثل صورة من صورة التمسك بالصدى الذي لا يفارق الذات الشاعرة ، ولذلك توزع الصدى في حالتي النوم والاستيقاظ، وإن الدوال الأخرى المرتبطة بالصدى تمتد بشكل واضح ،فالصورة الاستعارية تتمثل بشكل فاعل في : "بصدى ضائع ، ويوقظني برقيق الغناء" .

إن ملازمة الشاعرة للصدى انفتاح على عالم مليء بالحياة والأمل ، وإن التنقيب عنه بصورة ملحة يجعلها أقرب ما تكون إلى الوعي باللحظات الجميلة ، ولذلك فإن الكلمة المفتاحية التي تكررت في هذا المقطع هي كلمة " صدى" إذ تكررت ثلاث مرات ، ومن أهم صفات الصدى أنه لم يسبق أن كان له شبيه ، لأنه أصبح الآن مقرونا بالقيثارة التي تغنيه في الخفاء ، مما يعني أن هناك ابتعادا عن عالم الوحشة والفساد ، ولذلك ثمة إصرار على مناداة الصدى الذي يمثل انقاذ الذات من عالم الوحشة إلى عالم الأمل والتفاؤل ، وإن سماع الصوت يجعل الحياة تبعث على الإحساس الرائع بالسعادة الناتج عن الإحساس بالعالم الخيالي المثالي . فكل الصورة السلبية تندثر وتختفي وتولد مكانها صور الرجاء والتفاؤل . وتتولد النشوة الغامرة المنبثقة عن حلم يوتوبيا، فالإنسان يكاد يفتقر إلى الخيال الذي يصنع عالما جديدا ، ولذلك "فإن الأدب يقدم الفرصة لتحرير النفس ؛ لأنه يخبرنا بما يمكن أن يكون مختلفا ". (Ammann 2015, 10).

ولذلك فإن الصور التي تجمعت في هذا المقطع استطاعت أن ترسم الخطوط الأولى لتخلق اليوتوبيا في وعي الذات الشاعرة : فصوت العالم المثالي والنموذجي المفقود يتجلى من خلال النسيج اللغوي والكلمات المختارة بعناية لتكشف عن روح الأمل مستعينة بالحواس المتمثلة بالسمع والبصر، فاللغة الشعرية هنا تتحول إلى صور عرفانية أو إدراكية تعبر عن حرص الذات الشاعرة على صناعة هذا العالم ، وهو ما يمكن أن يطلق عليه بالعالم النقيض لكل ما هو فاسد في العالم الواقعي . وقد جاءت اللغة التصويرية حاملة لما هو قار في النفس من هواجس وأحلام عريضة :

صدى ضائع ....
يجاذب روحي صباح مساء
ويوقظني برقيق الغناء
تغنيه قيثارة في الخفاء
إذا سمعته حياتي ارتمت حنينا
ونادته ألف نداء
يموت على رجعه كل جرح بقلبي
ويشرق كل رجاء
ويمضي شعوري في نشوة
يخدره حلم يوتوبيا .

تتشكل اللغة الشعرية من تراكم الصور التي تحمل رؤية الشاعرة الحالمة بالعالم المثالي المفقود ،وإن الصور التي جاءت في هذا المقطع هي ما يطلق عليه بالاستعارات الفعلية ، وهي استعارات تنبني من الأفعال التي تدل على الحركة ، والتفاعل ، وهي استعارات استطاعت أن تترجم الإحساس الداخلي في رحلته للبحث عن عالم مثالي مفقود . فالتشكيل الاستعاري عكس لغة إبداعية فيها درجة من الشعرية العالية .

ثانيا : المكان الحلم / المدينة الفاضلة :

ويوتوبيا حلم في دمي أموت وأحيا على ذكره
تخيلته بلدا من عبير على أفق حرت في سره
هنالك عبر فضاء بعيد تذوب الكواكب في سحره
يموت الضياء ولا يتحقق ما لونه ما شذى زهره
هنالك حيث تذوب القيود وينطلق الفكر من أسره
وحيث تنام عيون الحياة هنالك تمتد يوتوبيا. (نازك الملائكة، 2002، 431).

إن الرابط العضوي بين المقطع السابق وهذا المقطع يتمثل في أن المقطع السابق انتهى بقولها :" يخدره حلم يوتوبيا "، ثم يبدأ هذا المقطع بقولها :

"ويوتوبيا حلم في دمي" ، مما يعني أن هناك ترابطا بنائيا ومعنويا بين المقطعين، وهذا ناتج عن إدراك الذات الشاعرة لبناء القصيدة بناء هندسيا متساوقا في البناء والرؤية ، وخاصة عندما تتكرر كلمة الحلم ، لتؤكد أن يوتوبيا ما هي إلا مجرد حلم إنساني يحتفل بالمكان والزمان الجميلين ، وهنا تنبثق صورة الجنة الحلم ، أو الفردوس المفقود الذي تنشده الذات الشاعرة ، التي تؤطر المثالية التي ينشدها الإنسان منذ أمد بعيد ، فيوتوبيا تعيش في دم الشاعرة ،مما يعني أنها ليست شيئا عابرا ، لأنها تؤسس لعالم مثالي يغري الإنسان ، وإن حدود هذا العالم المثالي ليست حدودا جغرافية، وإنما حدود نفسية وشعورية تتجدد مع تنامي النص الرؤيوي الذي يرسم معالم المدينة الفاضلة ، فهي من عبير، وذات أفق يبعث على الحيرة ، حتى الكواكب تذوب في سحره ، ولا يستطيع المرء أن يتبين حدود جماله لما يمتلك من صور مدهشة ، ولذلك تذوب القيود وتتلاشى وينطلق الفكر من أسره ، وعندما تنام عيون الحياة تمتد يوتوبيا لتتخطى كل اللحظات المأساوية التي ترسم معاناة الإنسان في العالم الحقيقي ، " فاليوتوبيا بحث عن المجتمع المثالي الذي يعتبر تحقيقه ممكنا في المستقبل. فهي تتناقض مع الواقع السياسي والاجتماعي الحالي، ومع ذلك فإنها تظل تجربة فكرية يتم من خلالها نقل العالم الخيالي إلى الخارج".(Ammann 2015, 8).

ترتسم في هذا المقطع رؤية شعرية تستدعي المرجعيات الثقافية والابستمولوجية لتعيده إلى المدينة الفاضلة عند أفلاطون ، وإلى يوتوبيا عند توماس مور ، وآراء أهل المدينة الفاضلة للفارابي ، على الرغم من أن الشاعرة أشارت إلى أن اليوتوبيا عندها حالة خاصة تختلف عما جاء عند توماس مور، إذ تقول: " يوتوبيا كلمة إغريقية معناها "لا مكان" استعملتها للدلالة على مدينة شعرية خيالية لا وجود لها إلا في أحلامي ، ولا علاقة لهذه المدينة بيوتوبيا التي تخيلها الكاتب الإنجليزي توماس مور في كتاب ألفه باللغة اللاتينية سنة 1516، ورسم فيه صورة سياسية إدارية للجزيرة المثلى كما يريدها هو، قياسا على جمهورية أفلاطون ". (نازك الملائكة، 2002، 537).

ثالثا : يوتوبيا الطبيعة :

ويوتوبيا حيث يبقى الضياء ولا تغرب الشمس أو تغلس
وحيث يظل عبير البنفسج حيا ولا يذبل النرجس
وحيث تفيض الحياة رحيقا نميرا ولا تفرغ الأكؤس
وحيث تضيع حدود الزمان وحيث الكواكب لا تنعس
هناك الحياة امتداد الشباب تفور بنشوته الأنفس
هناك يظل الربيع ربيعا يظلل سكان يوتوبيا. (نازك الملائكة، 2002، 432).

تلتقي في هذا المقطع دوال الطبيعة مع دوال الزمان ، فالضياء والشمس، والبنفسج ، والنرجس ، والحياة الرحيق، والكواكب التي لا تنعس ، والربيع كلها دوال طبيعية تتنزل في المكان الذي تتكدس دواله بتكرار الدال المكاني :"حيث" الذي كرر أربع مرات ، و"هناك" التي تكررت مرتين ، مما يجعل العلاقة بين هذا المقطع والمقطع السابق علاقة عضوية؛ لأن الشاعرة أطرت العالم المكاني بالمثالية التي تجعل من هذا المكان مكانا مغايرا للمكان الحقيقي الذي تعيش الشاعرة تفاصيله اليومية ، فالأبعاد الجمالية للمكان تجسدت من خلال عناصر تمثلت بالربيع ، والنرجس والبنفسج والرحيق.

إن الصورة الحلمية هنا تعكس النزعة الإنسانية المتمثلة في السعي إلى رسم حدود المكان الذي لا يوجد في عالم الواقع ، وإنما يوجد في عالم الحلم، وهو الحلم الذي رسم بألوان زاهية ينتهي بصورة الربيع الدائم الذي يظلل سكان يوتوبيا، مما يعني أن هؤلاء السكان يعيشون حياة ملؤها المثالية ، التي تبعدهم عن كل ما يكدر فرحهم وأملهم بوجود يبتعد عن الوجود الحقيقي الذي يسوده الظلم والعنف، وتستمر اللغة الشعرية في حملها للحلم الإنساني من خلال صور لها دلالتها الشعورية والنفسية والمعنوية ، وهي صور تتساوق وتتناغم مع عالم الحلم الذي تعبر عنه الذات الشاعرة . فاليوتوبيا تمثل بديلا إيجابيا أو اقتراحا مضادا للمجتمع المعاصر، والظروف الاجتماعية والسياسية السائدة. (Layh, 2014)

رابعا : أسطرة اليوتوبيا :

هنالك حيث وعت شهرزاد أقاصيص غنت بها ألف ليله
وحيث ديانا يسوق الضياء ونارسيس يعبد في الشمس ظله
هنالك يوتوبيا في الضباب على شفق لم تر العين مثله
يحف بها أبد من عطور ويمنحها ألف لحن وقبله
وترقد في سكرة لا تحد على رجع أغنية مضمحلة
على شاطئ كضياء النجوم أسميه شاطئ يوتوبيا. (نازك الملائكة، 2002، 432).

ثمة إشارات مهمة تتناغم في مدلولاتها الإشارية مع رؤية اليوتوبيا ، فالإشارة إلى شهرزاد وديانا ونارسيس مع ما تحمله هذه الأسماء من دلالات مهمة تشي بالتقائها مع عالم يرتفع عن عالم الواقع الحقيقي ليصبح عالما أسطوريا فيه كثير من العلامات الدالة على الحلم التي تلتقي مع اليوتوبيا ،وذلك في تشكيلها للإطار المكاني المتمثل بالدوال (حيث ، هنالك)،مما يشي برسم صورة المكان المثالي المفقود الذي لا يتخلق إلا في عالم الحلم وليس في عالم

الواقع ، ويتجسد هذا الأمر أيضا في تشكل يوتوبيا في الضباب ، وما يحمل ذلك من دلالات توحي بالخروج من العالم الحقيقي إلى العالم المثالي الذي يتمثل بالشفق الذي لم تر العين مثله، وهذا التشكل المكاني يقابله تشكل زماني يتجسد في قول الشاعرة : يحف بها أبد من عطور ، الذي يلتقي مع شاطئ يشبه ضياء النجوم ، أسمته شاطئ يوتوبيا، إن عالم يوتوبيا عالم حالم ملئ بالتفاؤل .

خامسا : يوتوبيا الإحساس :

هنالك طوفت ذات مساء وكان معي هيكل كالسراب
أحس خطاه على الرمل لكن أرى غير شيء وبعض سحاب
وكنت أحس بجسمي حياة تطير بروحي فوق التراب
وكان أمامي ممر غريب تغلفه دفقات الضباب
ويمتد عن جانبيه خليج وبعض جزائر بعض هضاب
وفي حلمي صرت أسير فرد صدى: قرب يوتوبيا. (نازك الملائكة، 2002، 432)

تتراكم الإشارات المكانية في هذا المقطع والمقاطع السابقة، وكأن الشاعرة ترى يوتوبيا مكانا في المقام الأول، وهو المكان المثالي الذي يتخلق في الوعي، ولا يتخلق في الوجود، فالدوال المكانية تتوزع في فضاء النص بصورة مكثفة، والغرض منها الكشف عن تجليات يوتوبيا في المكان دون أن ينفصل عن الإطار الزماني. إن تشكل العالم المثالي المفقود في وعي الذات الشاعرة يشي بالكثير من الرؤى القائمة على الوهم والتخيل، وصناعة عالم بعيد عن العالم الواقعي، فالهيكل الذي يشبه السراب دليل على أن حلم يوتوبيا صعب التحقق.

لا يمكن تخطي الرؤية دون الإشارة إلى الدال (أحس) "أحس خطاه، وكنت أحس بجسمي حياة"، فالإحساس ليس إحساسا ماديا وحسب، إنما هو إحساس روحي، إذ تطير الروح فوق التراب، فالصور التي تتشكل منها رؤية الشاعرة الحلمية صور ذات لغة فيها كثير من الدلالات ، فاللغة تترجم المشاعر الدفينة القارة في وجدان الشاعرة ، ويمكن وصفها بأنها لغة شعورية إدراكية استطاعت ان ترسم صورة الحلم الإنساني الطامح إلى (لا مكان) ، إلى يوتوبيا من صنع الإنسان الحالم ، ولذلك تصر الشاعرة على أن تربط بين اليوتوبيا والحلم ، حيث تقول :

وفي حلمي صحت : اين أسير فرد صدى : قرب يوتوبيا !

سادسا : اليوتوبيا الأمنية :

أحسست في قعر روحي جنونا وشوقا عميقا كبحر عميق
أريد انتهاء الطريق الغريب إلى البلد المتمنى السحيق
لي ذلك الأفق الأزلي وحيث يعيش أبولو الرقيق
أسير أسير ولا شيء يبدو أمامي غير امتداد الطريق
على ظمأ لوجود عجيب يذوب عليه الندى والبريق
على ظمأ صارخ وأخيرا صحوت ولم أر يوتوبيا. (نازك الملائكة، 2002، 433).

إن صورة الاضطرام الداخلي في وعي الذات الشاعرة ليس شئيا عاديا ، وخاصة عندما تشير إلى الجنون والشوق، والرغبة في الوصول إلى المكان الذي تتمناه ، وهو المكان الذي شكلت منه اليوتوبيا الخاصة بها، فثمة رؤية تشكل حالة الاندفاع غير المألوف نحو اليوتوبيا الذي ينقي نفس الشاعرة من هواجس القلق التي تسيطر عليها، وهنا يحضر أبولو الذي يقود عربة الشمس في الفضاء ، بما تحمله أسطورته من دلالات تتساوق مع عالم اليوتوبيا الذي يرتفع عن الأشياء المألوفة . وإن لهاث الشاعرة نحو اليوتوبيا جعلها تسير في طريق ممتد لا نهاية له ، وهي تتلهف لتدرك اليوتوبيا ، فصورت تلهفها من خلال تكرار عبارة (على ظمأ)التي تجسد حالة شعورية ورغبة جامحة في تحقق اليوتوبيا المتمناة ، ولكن الشاعرة اعتمدت عنصر المفاجأة في نهاية المقطع ، عندما قالت : "صحوت ولم أر يوتوبيا"، وهذا يشي إلى أن يوتوبيا عالم بعيد المنال ، لأنه عالم يعيش في الحلم وحسب .

سابعا : يوتوبيا و أفق الأحلام :

في المقطعين السابع والثامن ثمة حديث عن الحلم مرتين ، وقد سبق وإن أشارت إليه الشاعرة في المقطع الثاني عنما قالت : ويوتوبيا حلم في دمي:

وفي حلم آخر كنت أمشي على شاطئ من حصى ورمال
غريب غريب بلون الأثير يحف به أفق كالخيال
تناهى بأقدامي المتعبات إلى صخرة رسخت كالجبال
تسلقها أمل مضمحل فقد تتزحلق حتى الظلال
وقفت على قدميها أنوح على حلم بائس لن ينال
وساءلت ماذا ترى خلفها ؟ فقال لي الرمل : يوتوبيا

وفي حلم ثالث خلت نفسي على بابها المرمري الكبير
أحدق في نشوة لا تحد أكاد أجن : أكاد أطير
أحقا أرى الباب؟ ألواحه تلوح مبطنة بالحرير
تقدمت واجفة في خشوع وفي مقلتي ومض حلم قرير
أدق على الباب في نشوة ولا رد غير السكون المرير
فصحت بصوت حبيس: دعوني أموت على باب يوتوبيا. (نازك الملائكة، 2002، 433).

إن أقرب كلمة في هذا النص لليوتوبيا هو الحلم الذي تكرر بشكل لافت ، وقد تجسد هذا الحلم من خلال الأوصاف التي أسبغت عليه ، فالحلم يتخذ تمظهرات متعددة ، فالحلم جعل الشاطئ الذي تمشي عليه غريبا ، وهو بلون الأثير ، محفوف بأفق من خيال ، والصخرة التي رسخت كالمحال ، يصبح تسلقها أملا مضمحلا ، وهي تقف على قدميها تنوح على الحلم الذي لن يتحقق ، إذ تكمن اليوتوبيا خلف الصخرة، كما أجاب الرمل . لا شك أن المفردات التي بنت فيها الشاعرة لغتها قد جسدت رؤية تقوم على أن اليوتوبيا ضرب من المستحيل، وذلك من خلال قولها : أفق كالخيال، رسخت كالمحال، حلم بائس لن ينال، وهذا تجسيد واضح لرؤية الذات التي تسعى إلى تحقيق عالم مثالي .

ويتنامى عالم الحلم في وعي الذات الشاعرة لترسم حالة من الإدراك الذاتي لعالم اليوتوبيا ، فهي تشكل اليوتوبيا بأسلوب بعيد عن العالم الحقيقي والواقعي ، بصورة تمثل التدفق الشعوري الذي يمثل لحظة الاندغام مع الحلم الذي يؤسس رؤية الشاعرة للوجود، فهي تعبر بلغة شعرية تصور هذا الانطلاق الواعي للالتغام بعالم الحلم، ولذلك فإن اللغة الشعرية عكست هواجس النفس وعبرت عن رغبة بالتخلص من العالم الحقيقي للوصول إلى الفردوس المفقود ، إنها رحلة البحث عن الخلاص من قتامة الحياة وسوداويتها .

أحدق في نشوة لا تحد....
أكاد أجن ...أكاد أطير
أحقا أرى الباب ؟

ولكن هذا الأمل خاب وخاب معه توقع الشاعرة التي أفضى بها الأمر في رحلة البحث عن الذات إلى عالم يهيمن عليه السكون المرير، ولذلك تتأرجح عاطفة الشاعرة بين الأمل وخيبة التوقع، التي جعلت الوصول إلى اليوتوبيا أمرا صعب المنال. إن صوت الشاعرة في نبرته الغنائية يظل مسكونا بهاجس الحلم، ولكن أحلام الشاعرة العريضة تظل مرتبطة بعالم مثالي وهمي، ويتمثل الاندفاع إلى اليوتوبيا في قولها: "دعوني ...أموت على باب يوتوبيا ".

ثامنا : يوتوبيا الخلاص :

ومرت حياتي مرت سدى ولا شيء يطفئ نار الحنين
سدى قد عبرت صحارى الوجود سدى قد جررت قيود السنين
وما زلت أذرع صمت القفار وأسأل عن سرها العابرين
يطول على قلبي الانتظار وأغرق في بحر يأس حزين
أحاول أن أتعزى بشيء بغاب، بواد، بظلة تين
دقائق.. ثم أخيب وأهتف: لا شيء يشبه يوتوبيا . (نازك الملائكة، 2002، 433).

إن الشعور بالضياع في رحلة الحياة قد تجسد من خلال رسم الصورة المأساوية للواقع الذي يدفع الذات للبحث عن المنقذ والمخلص، الذي ينتشل الذات من الألم الذي يؤطر تجربتها التي يمكن أن تلخص الحياة في كونها (سدى) ، ولذلك فإن هيمنة اليأس والحزن على الذات الشاعرة يجعلها ترى يوتوبيا حالة شعورية تتلبسها، فهي تصل إلى رؤية تقول فيها : لا شيء يشبه يوتوبيا .

تاسعا : اليوتوبيا أفقا سرمديا :

سأبقى تجاذبني الأمنيات إلى الأفق السرمدي البعيد
وأحلم أحلم لا أستفيـ ق إلا لأحلم حلما جديد
أقبل جدرانها في الخيال وأسأل عنها الفضاء المديد
وأسأل عنها انسكاب العطور وقطر الندى وركام الجليد
وأسأل حتى يموت السؤال على شفتي ويخبو النشيد
وحين أموت..أموت وقلبي على موعد مع يوتوبيا (نازك الملائكة، 2002، 434)

تتجلى في هذا المقطع الختامي للنص رؤية تنبني على الأمنيات والأحلام التي تنذر بالخلاص وتحقيق الحلم، ولذلك فإن عالم الحلم الذي تنشده ذات الشاعرة تجسد من خلال تكرار كلمة الحلم في هذا المقطع بصورة لافتة تتناغم مع رؤية الذات الشاعرة ، فكل شيء يتحول في النهاية إلى حلم وخيال،

ولذلك يظل السؤال (وأسأل) ينتظر الجواب الذي تحلم به الذات الشاعرة التي تتمسك باليوتوبيا حتى وهي على موعد مع الموت . إن الإصرار على اليوتوبيا يمثل وعي الذات الغنائية ، وهو وعي لا شك أنه هيمن على النص ، لأن تكرار ضمير الأنا بصورة كثيفة أطر تجربة نازك في بحثها عن الخلاص برؤية مطبوعة بطابع رومانسي ينشد المثالية الحالمة ، وتظل رحلة البحث عن الخلاص صوتا أنثويا يجسد حالة خاصة من رحلة الإنسان في البحث عن حاله .

وقد عكست بنائية القصيدة ولغتها الشعرية رؤية الشاعرة ، التي مثلت الصورة الشعرية التي تحمل الدفق الشعوري في فضاء النص بأسلوب جعل اللغة الشعرية تتساوق مع عالم اليوتوبيا المنشود، وهو عالم الحلم ، فكلمة حلم تكررت في النص مرات عديدة كما تكررت كلمة يوتوبيا في نهاية كل مقطع بهندسة بنائية تتساوق مع الهندسة النفسية الطامحة للوصول إلى الفردوس المفقود ، فقد تكررت كلمة حلم إحدى عشرة مرة ، مما يعني أن الشاعرة تصنع عالما مع الأحلام تعيد به التصالح مع ذاتها ومع الوجود.

وإذا كان الحلم في تكراره قد جسد التخلص من عالم الواقع فإن يوتوبيا قد تكررت في مواضع متعددة ، ففي متن النص تكررت ثلاث مرات ، أما في نهاية كل مقطع فقد شكل تكرارها لازمة بنائية ومعنوية ونفسية ، فقد جاءت في نهاية كل مقطع بصورة متجددة ، لكنها كانت تمثل الكلمة الختامية للمقطع ، وذلك على النحو التالي :

يخدره حلم يوتوبيا

هنالك تمتد يوتوبيا

يظلل سكان يوتوبيا

أسميه شاطئ يوتوبيا

فرد صدى : قرب يوتوبيا

صحوت ولم أر يوتوبيا

فقال لي الرمل : يوتوبيا

أموت على أبواب يوتوبيا

لا شيء يشبه يوتوبيا

على موعد مع يوتوبيا .

شكلت كلمة يوتوبيا كلمة مفتاحية مركزية في سياق النص ، وفي كل مرة كانت تقدم تصورا يندغم مع تصور الذات الشاعرة لليوتوبيا ، التي ظلت مجرد حلم مثالي يقوم على الوهم ، ولكنها تصر على أن تصل إلى اليوتوبيا حتى بعد موتها . إن بناء عالم من الحلم نابع من تمركز الشاعرة حول ذاتها ، فصوت الأنا الطاغي جسد علاقة الذات مع الوجود ، وهي علاقة مبنية على التوتر ، ولذلك فإن البحث عن الخلاص ببناء عالم من اليوتوبيا لم يكن إلا عبارة عن حروف وكلمات على الورق ، لأن ذلك لم يتحقق في الواقع .

جسدت هذه القصيدة في بعدها الرؤيوي حالة من الشغف الإنساني العميق بالعالم المثالي ، الذي يركز على البعد المكاني والزماني ، ويشكل مدينة فاضلة ، خرجت من حدود الواقع إلى عالم أسطوري خارق ، تحاول فيه أن تهرب من واقعها المأزوم ، ولذلك يمكن أن يندرج نص " يوتوبيا الضائعة " تحت ما يعرف بأدب الهروب الذي يجسد الخروج من عالم الواقع إلى عالم المثال . وقد تجسد هذا الأمر من خلال أسطرة يوتوبيا ، التي لا يمكن أن توجد إلا في عالم مثالي من الوهم .

ثمة نوعان لليوتوبيا : يوتوبيا التمني ويوتوبيا الفلسفية، تركز الأولى على رغبات الناس وأحلامهم ورغباتهم الطبيعية ، أما الأخرى فإنها تسعى إلى تحقيق المدينة الفاضلة . (Heller, 2016).

ويبدو أن يوتوبيا التمني هي التي سيطرت على نص نازك الملائكة أكثر من اليوتوبيا الفلسفية التي تجسدت ملامحها في أكثر من مكان من النص .

الخاتمة :

ثمة أمور تجلت في اليوتوبيا الضائعة التي مثلت حالة من الهروب من الواقع ، الذي لا يعيش معه الإنسان في حالة من التصالح ، فاليوتوبيا هو سؤال الإنسان نحو إمكانية الانطلاق والتحرر، وخاصة أن هاجس الوحشة والغربة والنفي والاستلاب هو العنصر المهيمن في شعر نازك الملائكة ، ولذلك ليس غريبا أن تكون اليوتوبيا عند نازك شكلا من أشكال الممارسة الثقافية الواعية التي تؤطر طبيعة علاقة الإنسان بالوجود .

ولا يمكن للمرء أن يستقرئ الدلالات الفلسفية والأنثروبولوجية لليوتوبيا في شعر نازك ، لأنها لم ترد أن تمزج اليوتوبيا بالأبعاد الفلسفية العميقة ، وأن تصنع ماورائية خاصة بها ، وإنما ارتبطت اليوتوبيا عندها بحالة من التمني العريض ، وهذا محاولة لإيجاد نوع من التوازن بين تجربة نازك التي يغلب عليها التشاؤم ، وبين اليوتوبيا التي وسمت بالضائعة ، مما يعني أن اليوتوبيا تتحول إلى مجرد حلم يلهث الإنسان وراءه .

إن يوتوبيا نازك الملائكة لحظية غير ممتدة عبر الزمان والمكان، لم يكتب لها أن تطل على عوالم الحقيقة، لأنها ما لبثت أن تلاشت وذابت كما تذوب حياة الإنسان وتتلاشى دون إمساك بلحظات السعادة، وإن إلحاح نازك علة تكرار كلمة يوتوبيا ابتداء من العنوان وفي كثير من سطور النص، قد حول اليوتوبيا إلى كلمة مفتاحية، وعنصر مهيمن يشكل الرؤية الشعرية التي تمتلك خصوصيتها وفاعليتها عبر محاورة الذات للوجود.

References

Albustani, S. (2021). Utopia, dystopia, and transcending temporal and reference boundaries in the modern Arabic novel. *Studies in Arabic Narrative, 4*.

Almalika, N. (2002). *The complete poetical works*. Supreme Council of the Culture, Cairo.

Alzawar, A. S. (n.d.). *The critical philosophical dictionary*. D.I, D.T.

Ammann, D. (2015). *Die perfekte Welt. Der utopische Roman als Element eines politisch bildenden Literaturwissenschafts* (Studien Arbeit). Grin Verlag, München.

Biesterfeld, W. (n.d.). *Die literarische Utopie*. Metzler, Tübingen.

Bronfen, E. (2008). *Tiefer als der Tag gedacht: Eine Kulturgeschichte der Nacht*. Carl Hanser Verlag, München.

Hasiba, M. (2009). *The philosophical dictionary*. Dar Osama Publishing and Distribution, Amman.

Hauer, G. (2000). Schöne neue Frauenwelten? Feministische Utopien in der Literatur des 20. Jahrhunderts. *Österreichische Zeitschrift für Politikwissenschaft, 29*.

Hasiba, M. (2009). *The philosophical dictionary*. Dar Osama Publishing and Distribution, Amman.

Heller, A. (2016). *Von der Utopie zum Dystopie: Was können wir wünschen?* Edition Konturen, Wien/Hamburg.

Jacoby, R. (2001). *End of liberal utopia in a time of indifference* (F. Abdel-Gader, Trans.). Kuwait.

Layh, S. (2014). *Finstere neue Welten: Gattungsparadigmatische Transformationen literarischer Utopie und Dystopie*. Könighausen und Neumann, Würzburg.